التحالف الترامبي المقلق بين المعادين للسامية ومؤيدي إسرائيل

المصدر: عن Forward - ترجمة نسرين ناضر

[سوزان شنايدر](http://www.annahar.com/author/9947-%D8%B3%D9%88%D8%B2%D8%A7%D9%86-%D8%B4%D9%86%D8%A7%D9%8A%D8%AF%D8%B1)

جريدة النهار 25 شباط 2017

تعيش الجالية اليهودية الأميركية أوقاتاً عصيبة على وقع جلسة الاستماع إلى ديفيد فريدمان في الكونغرس الأميركي، وزيارة بنيامين نتنياهو إلى الولايات المتحدة، ورفض الرئيس ترامب اتخاذ إجراءات لمعالجة صعود موجة العداء للسامية.

بالنسبة إلى اليمين، يأتي تخلّي ترامب عن حل الدولتين، شأنه في ذلك شأن تسمية فريدمان لتسلّم منصب السفير الأميركي لدى إسرائيل، بمثابة تطمين بأن الإدارة الأميركية الجديدة سوف تلتزم أشدّ الالتزام شكلٍا توسّعيا من أشكال الصهيونية. وإلى جانب وجود جارد كوشنر ضمن الدائرة الداخلية المحيطة بالرئيس، يعتبر كثرٌ أن إبقاء فريدمان وبيبي على أهبّة الاستعداد للنهوض بالدور المناط بهما هو مؤشرٌ الى أن ترامب ليس فعلاً معادياً للسامية، على رغم أنه يحيط نفسه بشخصيات ذات اقتناعات مثيرة للريبة. بحسب هذا المنطق، يدحض التزام ترامب وستيف بانون الشديد حيال إسرائيل أي تلميح إلى أنهما يكنّان كراهية لليهود.
لكن في نظر عدد كبير من الوسطيين والليبراليين، فكرة أن يعمل جارد كوشنر وستيف بانون معاً كافية للتسبّب بارتباك شديد: كيف أمكن شخصا يتحدّر من ناجين من المحرقة أن يلتقي حول قضية مشتركة مع الزعيم الأيديولوجي لليمين البديل؟
ربما يكمن الجواب في تاريخ الحركة الصهيونية الذي يُظهر أنه ليس هناك تناقض متأصّل بين الصهيونية وعداء السامية. واقع الحال هو أنه غالباً ما سارت الأيديولوجيتان جنباً إلى جنب نحو تحقيق هدفهما المشترك: تركيز اليهود في مكان واحد (تجنّباً بطريقة أفضل لوجودهم في أماكن أخرى).
حتى قبل صعود التيار الصهيوني الحديث في أواخر القرن التاسع عشر، ناقش الفلاسفة ورجال الدولة المسيحيون ما يجب فعله بكتلة اليهود "الشرقية" التي تعيش في وسطهم. وقد أشار الباحث جوناثان هيس من جامعة كارولينا الشمالية إلى أن أحد "الحلول" التي لاقت رواجاً لدى رموز حقبة التنوير الذين كانوا يكنّون مشاعر عداء للسامية، تمثّل في اقتراح ترحيل اليهود إلى موقع استعماري حيث يمكن إصلاحهم. عام 1793، لفت يوهان غوتليب فيشت، الذي هو من مؤسّسي المثالية الألمانية، إلى أن الحماية الأكثر فاعلية التي يستطيع الأوروبيون رفعها في وجه التهديد اليهودي هي "غزو الأراضي المقدّسة بالنيابة عنهم وإرسالهم جميعاً إلى هناك".
في الواقع، تبلورت الصهيونية في شكل حركة سياسية في أوساط اليهود الأوروبيين في إطار مسعى صريح لإيجاد حل لمشكلة العداء السياسي للسامية. بالنسبة إلى روّاد الصهيونية، مثل ليو بينسكر وثيودور هرتزل، كان العداء للسامية ظاهرة محتومة يمكن أن تحدث في أي زمان ومكان حيث يشكّل اليهود أقلية لا بأس بها. لم يكن بالإمكان إرساء علاقات طبيعية مع الدول الأخرى إلا عبر نقل اليهود إلى مكان حيث يشكّلون أكثرية. وهكذا بدلاً من دفع الدول والمجتمعات المعاصرة نحو استنباط طرائق جديدة لاستيعاب الاختلاف، تبنّى المفكّرون الصهاينة المنتمون إلى جيل هرتزل منطق أن "المشكلة" اليهودية لا تُسوّى إلا عبر إخراج اليهود من الدول الأوروبية.
بالطبع، لم يتبنَّ جميع الصهاينة في ذلك الوقت، كما أنهم لا يتبنّون الآن، فكرة أن اليهود لا ينتمون إلى مكان إقامتهم ومسقط رأسهم الفعلي، بل إلى الأراضي المقدسة. إلا أنه ليس من الصعب أن نلمس المنطق الشديد الإشكالية الذي يربط هذه التأكيدات بقومية الدم والأرض التي أدّت إلى تدمير حياة اليهود في أوروبا. لا شك في أن النازية انبثقت عن هذا السياق، وشدّدت على أنه ليس بإمكان اليهود أن يكونوا فعلاً ألماناً. بيد أن النازيين أخذوا هذا الاستنتاج إلى مكان جديد تماماً: فالإبادة، وليس إعادة التوطين، هي التي حرّكت الموقف النازي في نهاية المطاف.
على رغم أن حجم الدمار لم يكن معلوماً بعد في ثلاثينات القرن العشرين ومطلع الأربعينات، إلا أن كثراً اعتبروه صاعقاً إلى درجة أنه بُذِلت محاولات من قبل صهاينة يمينيين خلال تلك السنوات لإقامة روابط مع ألمانيا النازية. لقد تحدّث العديد من الباحثين عن الميول الفاشية لدى بعض أعضاء المعسكر الصهيوني التعديلي الذين خاضوا صراعاً مريراً مع الصهاينة التقليديين وندّدوا بهم واصفين إياهم بالبلاشفة. وكانت الكراهية متبادلة على ما يبدو، فقد وصف ديفيد بن غوريون، في عمل نشره عام 1933، زئيف جابوتينسكي، مؤسّس التيار التعديلي، بأنه يسير على خطى هتلر.
وبلغ تودّد اليمين الصهيوني إلى الفاشية ذروته المأسوية عام 1941 عندما تواصلت مجموعة "ليهي" البرلمانية المنشقّة بقيادة أبراهام سترن، مع الديبلوماسي الألماني أوتو فون هنتيغ لاقتراح التعاون بين التيار العبري في فلسطين ذي الجذور القومية الراسخة والدولة الألمانية. رفضت ألمانيا النازية عرضه السخي، بعدما كانت قد وقعت على "حل" مختلف لمسألة الوجود اليهودي.
أنطلق من هذه المعطيات التاريخية لمقاربة النقاشات المعاصرة حول رئاسة دونالد ترامب والتحالف الذي تساهم في تعزيزه بين أعضاء "اليمين البديل" القومي الأبيض من جهة وشريحة معيّنة من اليهود الأميركيين من جهة أخرى. القول بأنه على اليهود الأميركيين العمل مع اليمين البديل لأنهم يتشاركون جميعاً التزام "إسرائيل الكبرى" مناقضٌ لواقع أنه ليس جميع الحلفاء، أو التحالفات، سواسية. عندما يعبّر ريتشارد سبنسر عن إعجابه بالصهيونية (لأن الحركة تجسّد، في رأيه، التجانس العرقي قبل كل شيء)، علينا أن ندرك أن ذلك ليس مجرد تفصيل عرَضي في إطار تلميحه إلى أن أميركا قد تصبح أفضل حالاً مع إجراء تطهير إثني سلمي للشرائح السكّانية التي ليست من أصل أوروبي أبيض. هل يعتقد اليهود الأميركيون حقاً أنهم سيكونون مقبولين في مثل هذه الدولة؟ وهل الصلبان المعقوفة النازية وسواها من أفعال الترهيب التي انتشرت في شكل واسع منذ فوز ترامب في الانتخابات هي فعلاً مجرد حوافز سلمية لدفعنا إلى الإدراك بأن موطننا الحقيقي هو في أرض بعيدة جداً؟
يجب أن يكون الجواب "كلا" جازمة ومدوّية.
تزدهر الحياة اليهودية في المجتمعات التعدّدية حيث لا يُعتبَر الاختلاف "مشكلة" يجب إيجاد حل لها، بل واقع يجب الاحتفاء به. لا ينبغي أن يُنظَر إلى التحالف بين الصهاينة اليمينيين واليمين البديل بأنه أمر شاذ، بل إنه لقاء بين وجهتَي نظر متناغمتين إلى حد كبير تؤكّد – كلٌّ واحدة على طريقتها – أن العالم لن ينعم بالأمان إلا عندما ننكفئ جميعنا للعيش في أراضي أجدادنا المختلفة. لقد أحدث هذا النوع من التفكير القومي قدراً كبيراً من الضرر خلال القرن العشرين. فلنمتنع عن تكرار الأداء نفسه في القرن الحادي والعشرين.

**مؤرخة متخصصة في النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني والتيار الصهيوني.**